القصيدة الدعديّة بين السياقات التّاريخيّة والتشكيل النصي

The Daadi poem between historical contexts and textual interaction

د. لبنى المفتاحي
جامعة القيروان– تونس

Dr. Lobna Al-Meftahi
University of kairouan-Tunisia

Lobnameftahi2016@gmail.com

تاريخ الاستلام	تاريخ القبول
٢٠٢٣/١٢/١١	٢٠٢٣/١٢/٢٨

الكلمات المفتاحية: الدعدية، السياقات، التاريخية، التفاعل، النص

Keywords: Daadi, Contexts, Historical, Interaction, Textual

الملخص

قصيدة من عيون تراثنا الشعري، استشعر القدماء روعتها وأصالتها وتفرّدها فأطلقوا عليها اسم اليتيمة أي التي لا شبيه لها ولا نظير، قصيدة تروي قصة حب عجيبة بين أميرة وشاعر تناقلتها الأجيال في إطار من الغموض .

وإن من العجب أن تكون أكثر القصائد شهرة بين الأدباء ورواة الشعر بلا صاحب، وخاصة لما عرف عن رواتنا من الدقة وتحري الصواب في الإسناد، ويصل عجبنا إلى منتهاه حينما نعرف أن سلسلة طويلة من النسب والعنعنة تتوافر لهذه القصيدة ولكنها تقف عند الرواة ولا تتجاوزهم إلى اسم هذا الشاعر القدير الذي صاغ حبه في قصيدة كتبتها أنامل الابداع. إنها القصيدة المشهورة باليتيمة أو القصيدة الدعدية التي تنسب إلى أكثر من شاعر أكثرهم من أفذاذ الشعراء مثل ذي الرمة وأبي الشيص وعلي بن جبلة المعروف بالعكوك وغيرهم، وحتى حين نكاد نصل إلى اسم مبدعها نجد أنه نكرة بين الشعراء ونرى هالة من الغموض تحيط به ذلك هو دوقلة المنبجي كما تؤكد بعض المصادر، فلا ندري على وجه اليقين من الشاعر؟ وهل هو تهامي أو عراقي أو نجدي؟ وهل حقاً ادعاها أربعون شاعراً؟ وما زمن القصيدة هل هي جاهلية أو أموية أو عباسية؟ وما عدد أبياتها بالتحديد؟

لذلك آثرنا أن نشتغل على هذا المبحث الذي وسمناه ب" القصيدة الدعديّة بين السياقات التّاريخية و التشكيل النصي" وقد قسمت هذه الدراسة الى المحاور الآتية:

(١– مدخل مفهومي ، ٢– السياق التاريخي للقصيدة ، ٣– صياغة النص ، ٤– إعادة صياغة النص ، ٥–خاتمة)

Abstract

A poem from the eyes of our poetic heritage. The ancients sensed its splendor, originality, and uniqueness, so they called it the orphan, meaning the one with no equal or equal. A poem that tells a wondrous love story between a princess and a poet that was passed down through the generations in a context of mystery.

It is a wonder that the most famous poems among writers and poets have no author, especially given the accuracy and accuracy of the chain of transmission that is known about our narrators. Our astonishment reaches its peak when we know that a long chain of lineage and curses exists for this poem, but it stops with the narrators and does not go beyond them to the name. This mighty poet who formulated his love into a poem written by his creative fingers. It is the poem known as Al-Yatimah or the poem Al-Da`diyah, which is attributed to more than one poet, most of them among the most distinguished poets, such as Dhul-Rumah, Abu Al-Shays, Ali bin Jabla, known as Al-Akuk, and others. Even when we almost reach the name of its creator, we find that he is a nobody among the poets, and we see an aura of mystery surrounding him. He is Dawqalah. Al-Manbiji, as some sources confirm.

We do not know for certain who the poet is? Is he Tihami, Iraqi, or Najdi? Did forty poets really claim it? What is the time of the poem? Is it pre-Islamic, Umayyad, or Abbasid? How many verses does it contain exactly?

Therefore, we chose to work on this topic, which we called "The Da'adi Poem between Historical Contexts and Textual Formation." This study was divided into the following topics:

(1- Conceptual introduction, 2- Historical context of the poem, 3- Text formulation, 4- Paraphrasing the text, 5- Conclusion)

Keywords: Adiya/contexts/historical/interaction/text

المقدمة

حظيت القصيدة اليتيمة باهتمام النقاد قديما "ونالت شهرة واسعة في أدبنا العربي، وتناقلها الناس في مجالس أنسهم ومجامع سرورهم "[١] .وقد أختلف النقاد والعلماء في طرق تناولها فمنهم من بحث في نسبة القصيدة ومنهم من بحث في تسميتها "[٢]، وأكثرهم افتتن بالصور الفنية التي احتوتها القصيدة "هذه يتيمة الدهر وفريدة العصر، نسبت إلى سبعة عشر شاعرا كل منهم قد ادّعاها وهو يكذب في دعواه" [٣] وقد يزيد عدد منتحليها عن (١٧) بكثير فقد نقل عن الشنقيطي: "أن أربعين من الشعراء حلفوا على انتحالها، ثم غلب عليها اثنان هما أبو الشيص والعكوك العباسيان . " [٤] وقد أفاض المحقق (د. صالح الدين المنجد) في ذكر آراء كل فريق وتساءل إن كانت القصيدة لـ (أبي الشيص، أو للعكوك، أو لذي الرمة، أو للمنبجي) وأكثر الآراء تقول بنسبتها للمنبجي . وقد اختلف العلماء في تسميته فقد ذكره ابن العميد باسم: "أحمد بن الحسين المنبجي المعروف بدوقلة بن العبد: شاعر مجيد من أهل منبج، وإليه تنسب القصيدة اليتيمة.

بينما أثبت المحقق تسمية الحسين بن محمد اعتمادا على نص بن الخير " حدثني بها القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله قال حدثنا المبارك بن عبد الجبّار الصيّرفي قال أنشدنا جميع قصيدة الحسين بن محمد المنبجي ولقبه دوقلة القاضي أبو القاسم التنوخي "[٥] وخلص إلى نتيجة مفادها إنّ هذه القصيدة لا يعرف قائلها لأنّ كلاّ من (ذي الرمة والمنبجي) ليس

---

(١) دوقلة المنبجي، القصيدة اليتيمة برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي، قسم: الروايات والقصص الأدبية [تعديل] ؛ اللغة: العربية ؛ الناشر: دار الكتاب الجديد، د.ت، ١٨.

(٢) أبو عبيد البكري الأونبى، سمط الآلي في شرح أمالي القالي.تحقيق، عبد العزيز الميمني، حالة الفهرسة: غير مفهرس،٨٥.

(٣) عبد العزيز الميمني، بحوث وتحقيقات، المحقق: محمد عزير شمس – محمد اليعلاوي· حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة · سنة النشر: ١٩٩٥، ١٠٥.

(٤) دوقلة المنبجي، القصيدة اليتيمة برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي، قسم: الروايات والقصص الأدبية [تعديل] ؛ اللغة: العربية ؛ الناشر: دار الكتاب الجديد، د.ت، ٥٨.

(٥) عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، د.سهيل زكارا، د.ط، د.ت، ٥٨.

من تهامة وإن ذا الرمة طالما شبب ب(مية)، ولم يرد في أشعاره ذكر ل(دعد)، والمحقق شك في وجود شخص دوقلة أصلا " [١]

لليتيمة قصّة حزينة ومأساوية تعد من أجمل قصص الحب، وهذه القصة أشبه ما تكون بالأسطورة فهي مرتبطة بالموروث الشعبي؛ حيث رُوي أن أميرة من نجد اسمها دعد، كانت جميلة غاية في الجمال وشاعرة بليغة وفيها أنفة وعزة، خطبها كثير من الأمراء إلا أنها رفضت الزواج منهم جميعا. ولكونها شاعرة ماهرة اشترطت شرطا يقضي بأنها لن تتزوج إلاّ بشاعر أمهر منها، ولمّا شاع أمرها همّ الشعراء في كتابة الأشعار، وكذلك فعل دوقلة وكتب قصيدته تلك التي لم يكن يدري بأنها ستكون سببا في مقتله. وهو في طريقه إلى الأميرة صادف رجلا وباح له بمقصده ثم قرأ له قصيدته فأعجب الرجل بها كثيرا فقتل دوقلة وانتحل قصيدته ثم سار إلى الأميرة وأنشدها القصيدة، لكن الأميرة كانت أذكى مما كان يُتصور ذلك فعرفت من لهجته ومن بعض أبيات القصيدة بأنه ليس ناظمها فأمرت بالقبض عليه ثم اعترف بما اقترفت يداه فقتلوه جزاء على جريمته، وهناك رواية أخرى شبيهة بهذه القصة على اختلاف بسيط في المسميات، إلا أن التنوخي كان له رأي آخر فيهما؛ إذ يذكر بأن كلا الروايتين موضوعتان من الرواة بعد أن جهلوا اسم صاحب القصيدة.

١) السياق التاريخي للقصيدة:

ليس هينا القطع بصحة نسبة قصيدة تُتوزعت تنازع القصيدة اليتيمة إلى شاعر من الشعراء الذين انتحلوها وتدافعوا عليها.

وقد بان في دراسات سابقة لهذه القصيدة امتداد حبل النّقل، مع الإقرار بذلك والإحالة عليه حينا، والنكران وانعدام الإحالة في أحايين كثيرة، لذلك اتبعنا المنهج التاريخي لتوثيق أصل هذه اليتيمة .

- **القرن الثالث:**

رُفع إلى هذا القرن سند للقصيدة اليتيمة ينتهي إلى الأصمعي (٢١٦هـ) وأبي عبيدة (٢٠٩هـ)، ساقه أبو القاسم التنوخي (٣٥٥هـ-٤٤٧هـ)، وهو قوله ذاكرا قراءته إياها :" وقرأتها "[٢] على أبي العباس أحمد بن محمد الموصلي الشافعي. المعروف بالأخفش: قال : أنشدني

(١) الأموي الأشبيلي ، فهرسة ابن خير إلاشبيلي، المحقق: إبراهيم الإبياري · حالة الفهرسة : غير مفهرس · سنة النشر: ١٤١٠ – ١٩٨٩م.

(٢) ابن خيمر الإشبيلي، فهرسة ابن خيمر الاشبيلي، تحقيق بشار عوّاد ومحمود بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي تونس، ط،١، ٢٠٠٩م،١٤١.

جماعة عن أبي بكر بن دريد عن أبي حاتم السّجستاني عن الأصمعي وأبو عبيدة : قالا : القصيدة اليتيمة : هل للطلول بسائل رد؟"

ورواية الأصمعي وابن عبيدة للقصيدة وهما – وإن أدركا القرن الثالث– من رجال القرن الثاني يدل على أنّ صاحبها أقدم منهما، وأنّها من شعر عصر الاحتجاج.

ورفع التنوخي نفسه سندا آخر إلى أبي العبّاس ثعلب، يذكر فيه سماعه للقصيدة قائلا: " أنشدناها أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد النصيبيّ الأزدي مؤدّبي، وأخبرني أنّ أبا عمر محمّد بن عبد الواحد الزّاهد، صاحب ثعلب، أنشده عن أبي العبّاس أحمد بن يحي ثعلب لدوقلة المنبجي "

- **القرن الرّابع:**

أوّل ذكر موقوف عليه في هذا القرن لشيء من القصيدة الدعدية، هو ما ساقه ابن أبي عون؛ إذ عقّب على الأبيات السيّارة للنابغة الذبياني في المتجرّدة. بقوله: " وفي هذا المعنى ما ذكر في القصيدة التي لم ينسج على منوالها، المشهورة بأنّها يتيمة، وقيل هي لزوبعة الملحّيّ"، التي أوّلها: هل بالطلول...، وأخذ فقال.....

لَهاَ سِحْر تَسْتعير وقدته من قلب صب وصدر ذي خنقِ

كأنّما حرّه لخابره ما ألهبت في حشاه من حرقِ

يزداد ضيقا على المراس كما تزداد ضيقا أنشوطة الوهقِ

وابن الرومي توفي سنة ٢٨٣هـ؛ أي إنّ اليتيمة من بنات القرن الثالث أو قبله. وفي القرن نفسه ساق ابن جني بيتا للمتنبي وعلّق عليه شارحا بقوله:

ويذمهم وبه عرفنا فضله وبضدّها تتبيّن الأشياء

.....، وهذا كقول المنبجي:

ضدان لما استجمعا حسنا والضّد يظهر حسنه الضّد "[1]

(١) ابن جني، الفسّر، شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق، رضا رجب، دار اليانبيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م:١/١٠١،، ونحوه لدى الواحدي، ديوان أبي الطيّب المتنبيّ وشرحه، تحقيق: العلامة فريدريخ ديتريصي، برلين، ١٨٦١م: ١/١٩٧،والعكبري، شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السّقا ورفاقه، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م: ١/٢٢، ولدى أبي العبّاس الأزدي المهلّبي، كتاب المآخذ غير

وعنه أخذ الواحدي، والعكبري، وعنهما المهلّبي، وذكر ابن وكيع ما ذكره ابن جني، غير أنه لم ينسب البيت "[١]

أمّا الجرجاني، فقد عزا ما استشهد به من القصيدة الدعدية إلى بعض المحدّثين ولم يسمِه، وإنّما اكتفى بقوله : وقد جاء في شعر المحدثين ما أجروا فيه غير المصرّع مُجرى المصرَّع، فقال شاعرهم:" فالوجه مثل ...(البيت١٥) "[٢].

وليس يخفى أنّ المتنبي متوفي سنة ٣٥٤ هـ أي إنّ القصيدة اليتيمة كانت معمّرة قبله؛ واعتمادا على ما ورد في هذا القرن على وجازته، فإنّ القصيدة اليتيمة فيه من حظ دوقلة المنبجي بلا مزاحم على الرغم من توهين ابن أبي عون والجرجاني .

- **القرن الخامس:**

وفيه ساق العبدلكاني الزّوزني (٤٣١هـ) ثلاثة أبيات من القصيدة اليتيمة منسوبة إلى الأخيطل المخزومي: أو ما ترى طمرين بينهما .....(الأبيات ٤٩-٥١) "[٣].

٢أنعلى شرّاح ديوان أبي الطيب المتنبيّ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرّياض، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(١) ابن وكيع، المنصف للسّارق والمسروق منه، تحقيق : عمر خليفة بن إدريس.٦ جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م: ٥٨٤.

(٢) القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ٤٦٨.

(٣) العبدلكاني الزّوزنيّ ، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق محمد بهي الله بن محمد سالم ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب العربي ، بيروت ط١، ١٩٩٩م/ ١/١٧٤.

وساق الثعالبي من القصيدة الدعدية بيتين بلا عزو، فقال: " ولبعضهم الوجه مثل .... (البيتان ١٥-١٦)"[١]

وساق ابن عبد البرّ من القصيدة اليتيمة ثلاثة أبيات بلا نسبة فقال: " ولهذا كان البياض مع السواد أحسن ....، وقد قال الشاعر في هذا المعنى فالوجه مثل ... (البيتان ١٥-١٦) "[٢]

- **القرن السادس:**

وفيه ساق نشوان بن سعيد الحميري أربعة أبيات متفرقة من القصيدة اليتيمة منسوبة للعكوّك الكنديّ؛ أوّل تلك الأبيات قوله: أو نضح عزلاء الشّعيب... (البيت١١)"[٣] ثم الأبيات (٢٢، ٦٥-٦٦) "[٤].

ثم رزقت القصيدة الدعدية في هذا القرن خيرا وفيرا أتاها من قبل ابن خير الإشبيلي؛ إذ بسط الكلام على من نسبت إليهم وفصّله، وعرض رواياتها ورفع أسانيدها إلى علماء القرون الأولى، كأبي عبيدة والأصمعي وابن حبيب، فقال – أنقل كلامه بتمامه لنفاسته، وقد مرّ منه طرف مستشهد به في القرن الثالث: " القصيدة اليتيمة :

هل بالطلول لسائل رد؟

حدثني بها القاضي أبو بكر ابن العربي، رحمه الله ، قال حدثّنا المبارك بن عبد الجبّار الصيّرفي، قال: أنشدنا جميع قصيدة الحسين بن محمد المنبجي، ولقبه دوقلة، القاضي أبو القاسم التّنوخي ، قال :

- أنشدنا أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن محمد النّصيبي الأزدي مؤدّبي، وأخبرني أنّ أبا عمر محمد بن عبد الواحد الزّاهد، صاحب ثعلب، أنشده عن أبي العبّاس بن يحي ثعلب لدوقلة المنجبي.

---

(١) الثعالبي الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت، جمعها أبو نصري المقدسي ، تحقيق: ناصر محمدي محمد جاد ، مراجعة حسين نصّار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٢٩٠.

(٢) ابن عبد البرّ القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق ، محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت ، د.ت، ١/٣٠٠-٣٠١.

(٣) نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري ومطهّر الإيرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م:٧/٤٥١٤.

(٤) المصدر نفسه ، ٤٥٨.

- وأنشدنا أبو الحسن علي بن محمد النّحوي الحلبيّ، المعروف بالوزّان "[١] عن أبي النّضر الحلبيّ"، عن الزّجاج، عن محمد بن حبيب، قال : من غفل شعر ذي الرّمة قوله: هل بالطّلول لسائل ردّ؟ وذكرها .

- وقرأتها"[٢] على أبي العبّاس أحمد بن محمد الموصلي الشّافعي، المعروف بالأخفش، قال: أنشدني جماعة عن أبي بكر ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي وأبي عبيدة، قالا: القصيدة اليتيمة: هل بالطلول لسائل ردّ؟

- وأنشدنيها رجل من الكُتاب، يُعرف بأبي الحسن السُّوراني، كان يكاثر"[٣]أبا الحسن النّصيبيّ مؤدّبي، عن أبي محمد ابن دُرُسْتَوَيْهِ عن أبي العباس المبرّد قال: القصيدة التي لا يعرف قائلها، وهي اليتيمة: هل بالطلول لسائل ردّ؟

- وفي الروايات ألفاظ وزيادة، ونقصان أبيات منها، وعرضتها تصحيحا على أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن جرْو"[٤] الأسدي؛ قال أبو الحسن، علي ابن الحسن الرّازي (٣٩١هـ): سمعت أبا عبد الله بن خالويه (٣٧٠هـ) ينشد هذه القصيدة، فسألته: لمن هي؟ فقال: تروى لسبعة عشر شاعرا "[٥]

وساق أسامة ابن منقذ (٥٨٤هـ) من القصيدة اليتيمة سبعة أبيات لسعيد بن حميد المنبجي المذحجي المعروف بالدوقلة، فقال : " وقال سعيد بن حميد المنبجي المذحجي: هل بالطلول ... الأبيات (١-٤، ٦،٨،١٠)[٦]

- **القرن السابع:**

وفيه ساق ابن العديم (٦٦٠هـ) من القصيدة اليتيمة رأسها في ترجمتين، وأردف ثانيتهما بإحدى طرق إسناد القصيدة، على نحو ما ساق أبو القاسم التّنوخي، فقال: " أحمد بن الحسين المنبجيّ، المعروف بدوقلة بن العبد: شاعر مجيد من أهل منبج، وإليه تنسب القصيدة

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إخسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م: ١٩٥٧/٥.

(٢) المصدر نفسه ، ٧٨٥.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء ، ٧١٤.

(٤) المصدر نفسه ، ٩٥٤.

(٥) المصدر نفسه، ٩٨٥.

(٦) أسامة بن منقذ، المنازل والدّيار، تحقيق مصطفى حجازي، دار سعاد الصبّاح، الكويت والقاهرة ،ط١، د.ت، ١١٦.

اليتيمة التي أوّلها هل بالطلول ... (البيت الأوّل) وسنذكره، إن شاء الله تعالى، في حرف الدّال لأنّه اشتهر بدوقلة، وصار اسمه مهجورا "[١]

وقال أيضا: " الحسن بن حميد المنبجي، وقيل: الحسين بن حميّد المنبجي التُّجيبي، وسنذكره (في) مَن اسمه الحسين، إن شاء الله تعالى، وهو شاعر مجيد، تنسب إليه القصيدة اليتيمة؛ والأقرب أنّها له، والله أعلم روى أبو القاسم منصور بن النّعمان (٤٥١هـ)، قال : أنشدنا القاضي أبو الحسن عليّ بن محمد بن إسحاق الحلبي قال: أنشدنا أبو سعيد النّصيبيّ " عن أبي الحسن عليّ بن سليمان الأخفش (٣١٥هـ)، قال أنشدت هذه القصيدة المعروفة باليتيمة، ولم تعرف لأحد، فلذلك سميت اليتيمة. ثم أنشدها للحسن بن حميد المنبجي وهي: هل بالطلول.... فذكرها؛ وسنوردها في ترجمة دوقلة بكمالها، إن شاء الله تعالى"[٢]

وثمة في القصيدة ما يسوّغ ذكر ابن العديم ل(التُجيبي) في نسب دوقلة، وهو وله مفتخرا بتحدّره من قبيلة كندة الكهلانية اليمانية:

الجدُّ كِنْدةُ والبَنونُ هُمُ

إذ إن (تُجيب) من كندة؛ على أن في النّفس سحائب شك لا تنقضي من تقارب رسوم (المنبجي)، و(المذحجي)، و(التجيبي)، لاحتمال أن يكون لها أصل واحد أو ربما كان لها أصلان نسبة إلى الجدّ ثم إلى القبيلة؛ أمّا توافق ثلاثة ألقاب ففي التسليم بقبولها عسر.

- **القرن الثامن:**

وفيه ساق محمد بن أيْدمُر المستعصميّ (٧١٠هـ) من اليتيمة بيتين فاحشين بلا نسبة"[٣]، وفي موضع آخر ساق البيت: **أَجْمِلْ إذا بالَغْتَ**.....(البيت ٦٢)، ثم عقّب عليه قائلا :" هذا البيت من القصيدة الموسومة بيتيمة الدّهر، أوّلها: هل بالطلول..."[٤] ثم ساق بعده ثمانية عشر بيتا، وعقّب عليها بقوله:" والشعرُ لدوقلة، وهي طويلة "[٥]

(١) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، دت، ٦٩٨/٢.

(٢) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب ،٦٥٤.

(٣) محمد بن أيدمر المستعصبي، الدذرّ الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م، ١٣١/١.

(٤) ابن أيدمر، الدر الفريد ، المحقق: كامل سلمان الجبوري ،دط، د.ت، ص١٦١.

(٥) ابن أيدمر، الدّرّ الفريد، ١٦٢/٢، وفي مطبوعة: " لدوقلة"، وهو خطأ ضبطا وإعجاما.

وساق أبو حيّان الأندلسي (٧٤٥هـ) من اليتيمة بيتا بلا نسبة، فقال في تفسير آية كريمة :" ولمعنى هذه الآية أشار الشاعر في القصيدة التي تسمى باليتيمة، في قوله: ليكن لديك....(البيت ٦٤) "[١] .

وساق ابن كثير (٧٤٤هـ) من القصيدة اليتيمة رأسها بلا نسبة ، فقال في معرض كلامه على المعلّقات، بعد أن حشَر فيها غيرها: "فأمّا القصيدة التي لا يعرفها قائلها، فيما ذكره أبو عبيدة والأصمعي و المبرّد وغيرهم، فهي قوله: هل بالطلول... (البيت ا) ، وهي مطوّلة، وفيها معان حسنة كثيرة"[٢].

- **القرن التاسع:**

وفيه ساق القلقشندي (٨٢١هـ) من القصيدة اليتيمة بيتين بلا نسبة، فقال: " وليس شيء من الألوان يضاد صاحبه كمضادة السّواد للبياض، قال الشاعر: فالوجه مثل... البيتان ١٥-١٦) "[٣].

- **القرن الثاني عشر:**

وفيه ساق الحسن بن مسعود اليوسي (١١٠٢هـ) ثلاثة أبيات متفرّقة بلا نسبة، فقال: " وقال الآخر : أَجْمَلُ إذا طالبت... (البيت ٦٢) "[٤] فقال: " وقال : الشاعر: السَّيْفُ يقطعُ... (البيت ٥٠) "[٥]، فقال: " وقال : هل تنْفعنَّ... (البيت ٥١) "[٦].

يظهر مما تقدّم أن القصيدة لم تُسمّ بالقصيدة اليتيمة للجهل بصاحبها أو من تنسب إليه، وإن كان ثمة من ذهب إلى ذلك، وإنّما الرّاجح أنّها سُميت يتيمة لأنّه لم يوقف على مثلها، أو ينسج على منوالها؛ أمّا الاختلاف حول نسبتها وتنازع الشّعراء عليها فلعلّه جاء بأخرة، وربما كان بعد الذي ساقه أبو القاسم التّنوخي من الكلام حول روايتها وأسانيدها،

---

(١) أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق؛عبد الله المحسن التّركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ٢٧٣/٣.

(٢) ابن كثير، البداية والنّهاية ، تحقيق: عبدالله عبد المحسن التّركي، دار هجر، القاهرة ، ط١، ١٤١٧هـ /١٩٩٧م، ٢٧٣/٣.

(٣) أبو العبّاس القلقشندي، كتاب صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣١هـ/١٩١٣م، ٤٦٣/٢

(٤) الحسن بن مسعود اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٢٤٧/٢.

(٥) المصدر نفسه، ٢٤٧/٢.

(٦) المصدر نفسه، ٢٤٨/٢.

يضاف إلى ذلك أنّ رغبة كثير من الرّواة في بقاء القصيدة يتيمة نسب بلا أب، أسير لها وأدوم لسيرورتها، فضلا عن كون صاحبها دوقلة المنبجي معدودا في الخاملين، فلم يترجمه مترجم، ولولا اشتهار القصيدة واقتران اسمه بها ما عرفه أحد.

٢) التشكيل النصي للقصيدة :

إن بنية القصيدة في الشعر العربي ترتبط بتقاليد ثابتة استقرت ملامحها منذ العصر الجاهلي وقد توارثها الشعراء على مر العصور وحرصوا على اعتمادها في أشعارهم، حتى استحالت هذه التقاليد قواعد ثابتة. وتعارف على شكل القصيدة التقليدية، فـ "الشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدها الخاتمة فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء "[(١)]، وقصيدة المنبجي من القصائد الكاملة التي توافرت بها مقومات بناء القصيدة الكاملة التي تبتدئ بالطلل وتنتقل الى الغزل ثم الفخر ويختم قصيدته بأبيات حكمة.

هل بالطلول لسائل ردّ؟ أم هل لها بتكلّم عهد

بهذا البيت تبدأ القصيدة اليتيمة أو الدالية التي تتكون من ستين بيتا، وهي من البحر الكامل وقافيةً الدال، وربما جاءت القافية متناسبة مع اسم محبوبته دعد التي صرّح باسمها في القصيدة.

لهفي على دعد وما خلقت إلاّ بحر تلهف دعد

هذه القصيدة التي شغلت الناس وذاع صيتها على مر العصور تعد من أروع أشعار الغزل والحب أسلوبا وإحساسا ووصفا ورقة وتصويرا.

اليتيمة الفريدة هذه تتمتع بدرجة عالية من الصورة الفنية والقيمة الفكرية والجمالية، إلى جانب الحيز الواسع والمتنوع من اللغة الشعرية التي تمتلكها ما جعلها من أجود أشعار الغزل والتغني بجمال المحبوبة .فهي قصيدة رقيقة وعذبة تحمل في طياتها الكثير من الصور التي احتوت على كل العناصر للقصيدة العربية التقليدية من وقوف على الأطلال ووصف المحبوبة، وعرض أحاسيس الشاعر الملتهبة ومشاعره الجياشة، والشكوى من الهجر والصدود، ثم الفخر والكبرياء.

فمن الممكن القول إن القصيدة الدعدية تتجلى في أربعة موضوعات رئيسة، ثم تتدرج تحتها الموضوعات الفرعية التي تناولها الشاعر وسرد أبياتها ضمنها حسب ما يناسب

---

(١)الحسن بن مسعود اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ٤٩٢/٢.

الموضوع الرئيسي. وأول هذه الموضوعات هو الوقوف على الأطلال، فيصف فيها بعض الصور من الحياة البرية على صيغة الجاهليين فيكثر من ذكر عناصر الحياة البرية، ثم ينتقل إلى الموضوع الثاني وفيه يبدأ بوصف محبوبته دعد وصفا دقيقا ويتغزل بجمالها تغزلا صريحاً ، أمّا الموضوع الثالث فيتناول فيه الرجاء والتودد للمحبوبة، فيرجو منها الوصال واللقاء، وأخيرا يصف نفسه متناولا عناصر عزة النفس والكرامة والأنفة والشجاعة والقوة.

١. المقدمة الطللية:

وحاول الشاعر من خلال هذه المقدمة إثارة انتباه السامع فالشاعر الحاذق لا يقتحم غرضه مباشرة بل يقدم له بمقدمة يهيئ ذهن السامع استقبال غرضه، وهي مفتاح الشعر حسب تعبير القيرواني: "فإن الشعر قفل أوله مفتاحه...فأنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة "[(١)]، ومقدمة هذه القصيدة مقدمة طللية تقليدية، فالشاعر وقف وبكى على الأطلال، وسائل ووصف لعل هذه المقدمة تثير محبوبته فتصبو له. وهي أحد عشر بيتا يبدأها بـ:

هَل بالطُلولِ لِسائلٍ رَدُّ أَو هَل لَها بِتَكَلُّمٍ عَهدُ

دَرَس الجَديد جَديدَ مَعهَدها فَكأنَّما هيَ رَيطةٌ جَردُ

مِن طُولِ ما يَبكي الغَمام عَلى عَرَصاتِها وَيُقَهقِه الرَعدُ

أبرز ما جاء في هذا المقطع هو سيره على خطى الأنموذج الجاهلي واستحضار القديم، من الفاتحة بالسؤال وذكر الأطلال وما يحتويه من عناصر البر ومظاهر الطبيعة البدوية.

ويبرز في هذا المقطع من القصيدة اليتيمة الحقول المرتبطة بالحياة البدوية وأشكالها بشكل واضح، من تصوير مظاهر الحياة البدوية التي تشكل ألفاظها حضورا قويا. إذ يبدأ بالسؤال مستفهما من الطلول، وهذا نمط معروف لدى الشعراء سابقا، إذ يبدأ بالسؤال ولكنه يعرف في نفس الوقت بأنها لن ترد عليه. فهو يوضح ذلك من خلال الشطر الثاني باستفهام إنكاري، أي لم سبق ونطقت هذه الأطلال وردت على أحد من قبلي لترد علي الآن. فهذه الآثار الصماء لقد صارت قديمة ومهترئة كالثوب البالي كيف سترد علي **(فكأنّما ريطة جرد)** ، فهنا يشبه هذه الأطلال بالثوب البالي. لم يكتف الشاعر بأسلوبه الاستفهامي فحسب،

(١) أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه: مكان النشر: مصر : الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، تاريخ النشر١٩٥٥، ٢١٨.

بل ينتقل بعد ذلك إلى ذكر السبب والعوامل التي وراء هذا الاندثار والاضمحلال الذي حل بالمكان بقوله:

مِن طُولِ ما يَبكي الغَمام عَلى عَرَصاتِها وَيُقَهقِهِ الرَعدُ

وَتُلِثُّ سارية وَغادِيَةٌ وَيكُرُّ نَحسٌ خَلفَهُ سَعدُ

تلقي شآمية يَمانية لَهما بمورِ تُرابِها سَردُ

المقصود من توظيف ألفاظ العوامل الطبيعية من (مطر ورعد، والغيوم الماطرة، والرياح الشمالية والجنوبية، والغبار والتراب) ما هو إلا لتوضيح ما حصل بكل هذه الآثار التي لم تعد كما كانت من قبل، وأجمل صورة هنا هو وصف ما حصل بهذه الآثار نتيجة الأحوال الطبيعية من أمطار ورعد ورياح وما صاحبها من عوامل طبيعية.

فالتصوير الفني في عرض النتائج التي عقبت هذه العوامل دقيقة وجميلة، فهذه الأمطار والعواصف لم تمح هذه الآثار فقط، بل أنبتت ما في باطن الأرض من زرع وأخرجته لظاهرها، فاخضوضر الديار وكأنه اكتسى حلة ذات ألون مشرقة، وذلك في قوله: **(فَكَسَت بواطِنُها ظَواهِرُها)** وكأنه في قرارة نفسه ينتقل من حالة يأس إلى حالة أمل.

يخرج من المقدمة الطللية ويدخل إلى غرضه النسيب فيصرح باسم محبوبته (دعد) التي لم يرد ذكرها سابقا:

لَهفي عَلى دَعد وَما خُلِقَت إِلا لِطولِ بَليّتي دَعدُ

والغرض الرئيس في القصيدة وهو النسيب هو "ذكر الشاعر خلق النساء وأخالقهن، وتصرف أحوال الهوى به معهن "[1]، أو الشعر العفيف الذي عني بإظهار الأحاسيس والمشاعر المليئة بمعاني العفة والشرف المتنزهة عن المعاني الحسية وقد وصفه قدامة بن جعفر (ت٣٣٠هـ) بقوله: "هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة، وتظاهرت منه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة وما كان فيه من التصابي والرقة أكثر مما يكون من الخشن والجلادة." [2] فمعاني هذا النوع من الغزل تدور حول "شعور الحب نفسه وتأثيره في نفس المحب ومدى ارتباطه به واندماجه معه، وموقف الحبيبة من صاحبها في الصدّ والوصال، إلى ما سوى ذلك من النواحي المعنوية [3] "فيقول في وصف محبوبته:

---

(١) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، اللغة: العربية ؛ الناشر: مطبعة الجوانب قسطنطينية ؛ تاريخ الإصدار: ٠١ يناير ١٩٠٠،٢٠ .

(٢) المصدر نفسه، ١٣ .

(٣) مصطفى هدارة ،اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ٣٠.

يضاءُ قَد لَبِسَ الأديمُ بها ءُ الحُسن فَهوَ لِجِلدِها جِلدُ

وَيَزينُ فودَيها إذا حَسَرت ضافي الغَدائر فاحِمٌ جَعدُ

فالوَجهُ مِثل الصُبح مُنبلِجٌ والشَعر مِثلَ الليلِ مُسوَّدُ

ضِدّان لَما استَجمعا حَسُنا والضدّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدّ

ويظهر الوجد واللوعة لفراقها فيقول:

وَزَعمتِ أَنَّكَ تَضمرينَ لَنا ودّاً فَهلاّ يَنفَعُ الودُّ

وإذا المُحبّ شَكا الصُدود وَلَم يُعطَف عَليهِ فَقَتَلَهُ عَمدُ

تَختَصّها بالود وَهيَ عَلى ما لا تُحِبُّ فَهَكَذا الوَجد

وفي هذا الغرض استطاع الشاعر من خلال صياغته للأفكار والمعاني ومن خلال لغته الشعرية أن يرسم لنا صورة متكاملة عن محبوبته من رأسها حتى قدميها.

٢. الألفاظ العاطفية:

تمثل ألفاظ الحب ووصف المحبوبة الركيزة الأساسية للقصيدة والرافد الثري الذي يعينه على الكشف عن خصوصية التجربة، والإفصاح عن مشاعرهم وتميزت هذه الألفاظ بالرقة والعذوبة "ولما كان المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة والشكل والدماثة كان مما يحتاج فيه أن تكون الألفاظ لطيفة مستعذبة، مقبولة غير مستكرهة "[(١)] وهذه الألفاظ التي تناثرت في القصيدة هي: (درر الشؤون، اللهف، الوصل، الصدود، الصبابة، الوعد، الاشواق، النوى، الهوى، الود، الحب، الشكوى، العطف، الوجد). وترد هذه الألفاظ بعذوبة وسلاسة فلا تحس فيها تكلف وصنعة وإنّما هي تعبير داخلي عما يختلج الشاعر من عواطف وأحاسيس

إن لَم يَكُن وَصلٌ لَديكِ لَنا يَشفي الصَبابةَ فَليَكُن وَعدُ

قَد كانَ أَورَق وَصلكُم زَمَناً فَذَوى الوِصالُ وأَورَقَ الصَدُّ

لِلَّهِ أَشواقي إذا نَزَحَت دارٌ بِنا وَنأى بِكُم بُعد

يبدأ الشاعر في اليتيمة باللهف واللوعة والحسرة لرؤية دعد، ومن ثم يصفها وكأنه يعرفها عن قرب فيرسم أدق تفاصيلها، وهنا تبدو المفارقة العجيبة لدى الشاعر، فإذا كان لا

(١) قدامة بن جعفر، نقد الشعر، اللغة: العربية ؛ الناشر: مطبعة الجوانب قسطنطينية ؛ تاريخ الإصدار: ٠١ يناير ١٩٠٠، ٧٥.

يعرفها ولم يرها كيف يصفها ويتغزل بجمالها؟ هذا لأنّه ذكر بمناسبة القصيدة بأنه انطلق من بلاد أخرى طالبا إياها للزواج، فقيل إنه من تهامة **وهي** أميرة من نجد فإن صح هذا القول بأنه تهامي أو لم يصح، ويبقى منبجي الموطن؛ فإن هذا يدل على احتمالية عدم رؤيته لها من قبل.

حيث نجد في القصيدة اليتيمة الكثير من الألفاظ الدالة على الجسد وعناصره التي وُظِّفت للدلالة والتأكيد على جمال الأميرة دعد، فهذه الألفاظ على كثرتها تكاد لا تكفي لوصف جمالها، فنجده لا يذكر عضوا من أعضاء الجسم إلا وأتى له بوصف مناسب له في غاية الروعة، ومختلف عن بقية الأوصاف التي يذكرها.

فهو يتقصد أحيانا بذكر ألفاظ معينة ثم يأتي بأضدادها، وذلك لأنّ الأضداد عندما تلتقي يكمن الوضوح والبروز بينها ليظهر الجمال بين الضدين، كما في قوله:

فالوَجهُ مِثل الصُبح مُنبلِجٌ والشَعر مِثلَ الليلِ مُسوَّدُ

فهو كثيرا ما يستخدم الألفاظ المتضادة التي تأخذ دور التوضيح للإفصاح عما يدور في أعماقه **من** مشاعر الصبابة والشغف، علاوة على أنها ربما تكون المفاتيح المطلوبة لتوضيح نقاط معقدة تسببت في اختلافات في الرأي حول موطن الشاعر، ومن جهة أخرى فهي ليست جميلة الشكل فحسب، بل هي بنت عز تعيش في نعيم ورفاه، فيستشهد الشاعر على ذلك بقوله:

وَكأَنَّها وَسنَى إِذا نظَرَت أَو مدنَفٌ لما يُفِق بَعدُ

وهنا تصوير فني دقيق يدل على رغد العيش الذي تعيشه دعد، وكما هو معروف منذ القديم بأن كثرة نوم المرأة دليل على عزها وثرائها، فهناك تعبير لدى العرب يقول: (امرأة نؤوم الضحى)، وهذا التعبير كناية عن عيشة المرأة الهنيئة والمرفهة، وجرى مجرى المثل وشاع استعماله للدلالة على وضعها الاجتماعي الجيد.

فكلمة (وسنى) تدل على كثرة النعاس الذي يظهر في عيني المرأة الكسلى من كثر النعمة. ومثل ذلك ما يدل على العزة والرفاه قوله (وتريك عرنينا به شمم) فهذا تعبير يدل على العزة والأنفة، إذ يقال: (قوم شم الأنوف و (رجل أشم))و (امرأة شماء) أي صاحب شأن وأنفة، وفي قول زهير " : شمّ العرانين أبطال لبوسهم "، وهو كناية عن الرفعة والعلو وشرف الأنفس والشموخُ "[1].

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٢/ ٣٢٧ .

وهذا من مديح الشاعر لمحبوبته، وكأنه يقول بأنّها ليست جميلة الخَلْقِ فحسب بل جميلة في خُلُقِهَا أيضا، فتوظيف الشاعر لحقل الألفاظ الدالة على أعضاء الجسم وصفاتها يدلنا على أنه يريد أن يظفر بذات الجمال والحسب والنسب.

٣. التركيب:

تخضع كيفية تركيب الجملة الشعرية في البيت الشعري لمقتضيات المعنى الشعري بشكل رئيس بما يجعل عناصر الألفاظ مسخرة لهذا المنحى؛ من إيقاع وعناصره إلى تصويره وأساليبه، إلى معجم وأشكاله "[١] .واللغة "عبارة عن مجموعة من العلاقات الحية المتنامية، وليست مجرد رصف لألفاظ بلا تعلق فيما بينها، وإن هذه العلاقات تبرز عن طريق الصنعة التي يستعان عليها بالفكرة والرؤية والذوق."[٢] الكلام هو القول المفيد بالقصد أي ما دل على معنى يحسن السكوت عليه وهو أعم من الجملة، والجملة تتكون من الفعل وفاعله كـ(قامٌ زيد) والمبتدأ وخبره كـ (قائمٌ زيد). والمقصود من ذلك هو الجملة الاسمية والجملة الفعلية.

- **الجملة الاسمية :**

الجملة الاسمية هي "التي صدرها اسم "[٣] وتتألف في أبسط صورها من ركنين أساسين هما المبتدأ والخبر، قال سيبويه " المبتدأ كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام، والمبتدأ والمبني عليه رفع، فالابتداء لا يكون الا بمبني عليه. فالمبتدأ الأوّل، والمبنيّ ما بعده عليه، فهو مسند ومسند إليه."[٤] وقد يتقدم الخبر على المبتدأ والتقديم والتأخير "هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولا يزال يفترّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب إن راقك ولطُف عندك، إن قُدَّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان. يقول:

ولها بنانُ لو أردت لهُ عقدا بِكَفِّك أَمكَنُ العَقدُ

---

(١) نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي – تنظير وتطبيق – د. رحمن غركان، دار الرائي ، دمشق، ط،١، ٢٠٠٨.

(٢) نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية،ط،١، ١٣٠٢هـ.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرش ي التيمي البكري، شهاب الدين النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط ،٠١٢٣هـ.

(٤) الوساطة بين المتنبي وخصومه، القاض ي عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيس ى البابي الحلبي.

والمعصمانِ فَمَا يُرَى لَهُمَا مِن نَعمَة وبَصَاضَة زَنَدُ

والبَطنُ مطويّ كما طويت بيض الرِياطِ يصونُها الملدُ

و بِخَصرِها هيفث يُزينُهُ فإذا تنوءُ يَكَادُ ينقدّ

فقد قدم الشاعر الخبر(لها، وبخصرها) على المبتدأ (بنان، هيف) لتخصيصه. بينما جاء تركيب الجملة كما هو في البيتين الآخرين (المعصمان، البطن) لا تقديم ولا تأخير، هذا الالتزام بالبنية النحوية يفيد تقرير الوصف وتثبيت الصفة لـ(دعد) وهذا ما نلحظه في قوله:

والساقُ خرعَبة مُنَعمة عَبِلت فطوقُ الحَجَلِ مُنسدُّ

والكعبُ أدرَمُ لا يبينُ لَهُ حجمّ وليسَ لِرأسِه حدّ

ففي هذه الأبيات لا موجب لتقديم الخبر لذا جاء التركيب النحوي للجملة موافقا لقاعدة الابتداء. وفي قول الشاعر (والساق خرعبة منعمة) تعدد الخبر (خرعبة، منعمة)، "قد يتعدد الأخبارين المبتدأ الواحد فيكون للمبتدأ خبران أو أكثر.

وقد يأتي المبتدأ نكرة مخصصة كما في قوله:

وَ مُكدَّم فِي عَانة جَزَأتْ حَتّى يُهيّجُ شَأْوَهَا الوِرْدُ

فـ(مكدم) مبتدأ وقد خصص بـ(في عانة) وخبره الجملة الفعلية جزأت. ونلحظ مجيء المبتدأ النكرة في مكان أخر من القصيدة هو:

أَصَريع كلم أَمْ صَرِيعُ ردى أَوْدَى فَلَيْسَ مِنَ الرَدَى بُدُّ

ففي هذا البيت تكرر لفظة (صريع) وكالهما مبتدأ نكرة سبق باستفهام وخبرهما ضمير المتكلم محذوف.

وقد يحذف المبتدأ كما في قول الشاعر:

بَرْدّ على الأَدْنَى ومَرْحَمة وَعَلَى الحَوَادثِ مَارِن جَلدُّ

فقد حذف الشاعر ضمير المتكلم وتقدير الكلام (أنا برد ومرحمة) ففي هذا البيت حذف المبتدأ وتكرر الخبر(برد–مرحمة.)

- **الجملة الفعلية:**

الجملة الفعلية "هي التي صدرها فعل كـ (ام زيد) و (ضرب اللصّ) ، وتغلب على بنية هذا النص الجملة الفعلية إذ لا يكاد بيتا يخلو من فعل أو أكثر. ورسمت لنا هذه الأفعال صورة حركية ونسق إيقاعي مميز. في القصيدةً وقد كانت الأفعال المضارعة أكثر حضورا

في القصيدة ؛ إذ ورد الفعل المضارع مرة، بينما جاء الفعل الماضي مرة، ولم يأت فعل الأمر إلا أربع مرات .وتكرار الأفعال في البيت الواحد أعطى للقصيدة ديناميكية حركية ونلحظ ذلك في قول الشاعر:

يَغْدَو فَيسْدي نَسْجَهُ جَدِب واهي العُرَى وينيرُهُ عهدُ

لقد تكرر الفعل الماضي في هذا البيت ثلاث مرات (يغدو، يسدي، ينير)، ومثله قول الشاعر:

وَبِخِصْرِهَا هَيْف يُزَيْنُهُ فُإذَا تَنُوءُ يَكَادُ ينقَدُّ

نلاحظ تكرار الفعل المضارع (يزين، تنوء، يكاد، ينقد). وقد يتكرر الفعل المضارع نفسه أكثر من مرة كما في قول الشاعر:

فَتَنَاثَرتْ دِررُ الشُّؤونِ عَلَى خَدَى كَمَا يَتَنَاثَرُ العِقْدُ

فتكرار الفعل (تناثر) رسم لنا صورة حركية فتناثر دموع الشاعر حبات الحقد ما ينقطع. وكذلك قد رسم لنا الشاعر من خلال توظيفه للفعل الماضي صور فنية مكثفة فهو يقول:

وَمَشَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خُصِّرتَا وأُلينتَا فَتَكَامَلَ القَدُّ

ذكر الشاعر الفعل الماضي ثالث مرات (مشت، خصرت، ألينت) وكأن الشاعر فرغ من وصف (دعد) وإن كل الصفات التي قد ذكرها سابقة هي متحققة في محبوبته لذا عدل من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع (تكامل.)

ويغلب الفعل الماضي عندما يكون الكلام عن حدث قد وقع وترك أثره في النفوس . ومثاله ذلك قول الشاعر:

وَطَرِيدِ لَيْلٍ قَادُهُ سَغَبُ وَهُنَا إِلَيَّ وَسَاقَهُ بَرْدُ

أَوْسَعتُ جُهْدَ بَشَاشة وَقِرى وعَلَى الكَرِيمِ لِضَيْفِهِ الجُهْدُ

فَتَصَرَّمَ الْشتي وَمَنزِلُهُ رَحب لَدَيَّ وَعَيْشُهُ رَغْدُ

ثُمَّ أنْثَنَى وَرِداؤُهُ نِعَم أَسْدَيْتُهَا وَرِدَائِي الحَمْدُ

ففي هذا المقطع نلحظ غلبة الفعل الماضي في الخطاب (قاد، ساق، أوسع، تصرم، انثنى، اسدى). أما فعل الأمر فقد جاء أربع مرات. مرة بفعل الأمر (أجمل) في قوله:

أَجمِلِ إِذَا طَالَبتَ فِي طَلَب فَالجِدُّ يُغْنِي عَنْكَ لاَ الج الجَدُّ

وثلاث مرات مع ألم الأمر. حيث قال:

إنْ لَمْ يَكُنْ وَصْل لَدَيْكِ لَنَا يَشْفِي الصَبَابَةَ فَلْيَكُنْ الرَدُ

٤. الصورة الشعرية:

اللغة نظام متجانس مترابط مكون من أصوات معينة، لذلك لا يمكن تناول مفرداتها وتراكيبها معزولة عن بعضها بعضًا، أو ذكرها مبعثرة ومفككة لا تربط بينها أية صلة يمكن أن تؤدي إلى المعنى المطلوب، لذا لا بد من تناغم وتنسيق وترتيب معين بين مفردات اللغة وتوظيفها واستخدامها كي يحصل النسق المناسب، فنصل إلى المعنى المطلوب والسياق الصحيح للجملة أو العبارة. ومن ثم فإن أي مفهوم لغوي يحتاج نوعا من الكلمات التي تنتمي لمجال معجمي معين تربطها علاقات دلالية مشتركة ومتقاربة، أي يجب أن يدور مجموع الكلمات حول موضوع معين لتحصل الوحدة بين الكلمات وبذلك نصل إلى الكيلة المنشودة من حيث المعنى.

إنّ التنوع في الموضوعات التي وردت في القصيدة جعلت من الحقول الدلالية فيها تتسم بالتنوع أيضا فالمعجم الشعري لدى الشاعر في القصيدة اليتيمة يحتوي على مخزون غزير من الألفاظ المتجانسة، تلك الألفاظ الملازمة لموضوع القصيدة على تعددها وتنوعها لا تتجاوز حدود النص أو يخرج من سياقه، فهذا الأسلوب الشعري الذي برع به الشاعر لا يشتت ذهن القارئ أو يتوهه بين الأبيات، بل على العكس فإن هذا التفنن في القصيدة يجذب المتلقي فيتابع لينتهي من موضوع حتى ينتقل إلى آخر، وهكذا إلى آخر القصيدة.

وتعد الصورة الشعرية من أهم العناصر التي يتشكل بها النص الأدبي فمن خلالها يظهر الشاعر براعته ومهارته الابداعية ومن ثم مقدار تأثيره في المتلقي، وسنتناول الصورة الشعرية في القصيدة اليتيمة من خلال:

- **الصورة التشبيهية:**

وقد أحسن الشاعر استغلال أسلوب التشبيه فنحسُّ أن هذه القصيدة ووصف (دعد) بالذات لوحة تشبيهية مزدحمة يكمل بعضها بعضا. ومن صور التشبيه في هذه القصيدة:

فالوَجهُ مِثل الصُبح مُنبلِجٌ والشَعر مِثلَ الليلِ مُسوَّدُ

ضِدّان لَما استَجمعا حَسُنا والضدّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضِدّ

وَكأَنَّها وَسنَى إِذا نظَرَت أَو مدنَفٌ لما يُفِق بَعدُ

بفتور عيْن مَا بِهَا رَمَد وبِهَا تُدَاوِي الأَعيُنُ الرَّمَدُ

وَتُرِيكَ عِرْنِينا بِهِ شَمَمُ وَتُرِيكَ خَدا لَونُهُ الوَرْدُ

وَتُجِيلُ مِسْوَاكَ الأَرَاكِ عَلى رَتَل كَأَنّ رُضَابَهُ الشَهَدُ

في هذا المقطع استثمر الشاعر أسلوب التشبيه هذا كأداة مهمة في بناء صوره، باستعماله التشبيه البليغ أو التشبيه التقليدي المتكوّن من المشبه والمشبه به المقترنين بأداتي التشبيه (مثل ،الكاف، كأن)، لربطهما ربطا محكما، يكفل تقريب الركن الأول التشبيه من صورة الركن الثاني المشبّه به بالحديث المفصل عنه في قالب واحد مكونا صورة متكاملة.

فالشاعر يشبه وجه (دعد) بالصبح وشعرها بالليل ووجه الشبه في الأول البياض وفي الثاني السواد وكرر أداة التشبيه (مثل). ثم يشبه رضاب أسنانها بالشهد. ولحظ في هذه التشبيهات أن الشاعر يرسم لنا صورة واحدة متكاملة لـ(دعد)ويعمد في كل ذلك الى ذكر وجه الشبه ويؤكد لنا جمالها وتفردها.

ومن صور التشبيه عند الشاعر:

أَبْلَى الجَدِيدُ جَدِيدَ مَعهَدِهَا فَكَأَنَّمَا هو رَبْطَة جُرُدُ

وقوله:

فَكَسَتْ بَوَاطِنُهَا ظَوَاهِرَهَا نُورا كَأَنَّ زُهَاءَهُ بُرُدُ

ومنه:

والتَفَّ فَخْذَاهَا وَفَوقَهُمَا كَفَل كَدِعصِ الرَمْلِ مُشْتَدُّ

- **الاستعارة:**

وفي مجال الاستعارة يرتفع الخيال باللغة إلى مستوى الخلق الفني والتصوير الابداعي، حتى يأتي التأمل في تأويل المعنى أبرز معطيات الاستعارة، إذ هي لغة وثراء لخطاب الأديب وهي علامة عبقريته في رسم صوره الفنية وقد أفاد الشاعر من هذا الأسلوب كثيرا. حيث يقول:

مِن طُولِ مَا تَبْكِي الغُيُومُ عَلَى عَرَصَاتِهَا وَيُقَهْقِهُ الرَعْدُ

وقوله:

وَجَبِينُهَا صَلت وَحَاجِبُهَا شَخْتُ المَخَطِ أَزَجُّ مُمْتَدُ

وتبقى قضية صياغة القصيدة قائمة؛ لأنّ نصها واحد على الرغم من اختلاف الروّاة في ضبط عدد أبياتها وفي نسبتها إلى شاعر معلوم دون آخر.

فقد تراوح عدد أبياتها بين سبعين بيتا وحواليّ عشرين بيتا بحسب ورودها في كتب الأدب، ونسبت عند أغلب الروّاة بشيء من الحذر والتردد إلى دوقلة المنبجي؛" فالنص واحد

والوزن الذي هو الكامل واحد وحتى المعاني الغزلية الواردة في التشابيه والصور والمجازات متشابهة في جميع مصادر القصيدة الدعدية".

ولذلك عدّت يتيمة لأنّ صاحبها المفترض لم يأتِ بغيرها ولأنّها أيضا كانت سببا في مقتله، ثم كانت القصيدة على غاية من قوة السبك وجزالة المعاني وتعدد الصور، فقد صاغها صاحبها على طريقة شعراء الغزل في القرن الأوّل للهجرة مستهلا بالوقفة الطللية فالرحلة للوصول إلى الحبيبة ثم الغزل وهو الغرض الأساسي فيها.

الخاتمة

هكذا تتفاعل الصور، والأساليب، والأدوات؛ في المشهد الواحد، فتتلاقى المشاهد، وتتكامل منتجة القصيدة؛ أي راسمة الصورة الكليّة التي تسري نُسغها رغبات الشاعر وأحلامه، ولعل هذا المنهج غالب على اليتيمة؛ ففي كل تعويض فني عن العجز الواقعي؛ فأهم ما يميز القصيدة الدعدية الرشاقة، وحيوية التصوير والتشخيص، وكثرة الفراغات الموكلة إلى القارئ المثالي؛ على الرغم من كثرة الروابط بين مكوناتها، فثمة جمل معقدة التركيب، وتأليف متنافرات.

فهذه القصيدة تستحق لقب يتيمة ليس فقط لأنها وحيدة صاحبها أو لأنها فريدة من نها قتلته، بل أيضا حيث الألفاظ ومناسبتها لمعانيها ودلالتها. فدوقلة يعتمد على معجم شعري في القصيدة يتضمن حقولا تحمل دلالات بديعة، تتسم بالوضوح والتنويع في الحقول الدالية في القصيدة من حيث الوصف والصور الفنية المطروحة، فضلا عن الحقول المتدرجة والحقول التركيبية.

وعند تناول القصيدة دلاليا نجد أنّ القصيدة اليتيمة تضمنت أربعة موضوعات رئيسة، فجعل دوقلة كلّ موضوع من هذه الموضوعات في قسم أو مقطعٍ خاص يعرض فيه أفكاره. نراه يبدأ بالوقوف على الأطلالً تناسب معاني هذا الموضوع، فيصف ألفاظا كأنموذج قديم يحتذى به في مطالع القصائد مستخدما الحيوانات البرية والطبيعة البدوية وما تشتمل على عناصر تدل على القدم والآثار التي اندثرت نتيجة ما اعتراها من حوادث الطبيعة.

بعد ذلك يصف محبوبته بأسلوب الغزل الصريح، فلا يتوانى في وصف جمالها وتفاصيلها الجسدية مستعينا بحقول دلالية تدل على طبيعة الجسم الإنساني، فيصف تلك التفاصيل بأجمل الألفاظ وأدق العبارات. ثم ينتقل إلى التودد منها واستعطافها لتقبل به، وفي هذا القسم يظهر حقل الألفاظ الدالة على الحب والشوق والوصل بشكل بارز. وأخي ار نفسه وخصالهً يختتم بالقسم الذي يصف فيه نفسه، فيصور التي يتمتع بها من خلال الإكثار من ألفاظ العزة والشهامة والكرامة والشجاعة وشدة البأس، فيكثر من الحقول الدالة على هذه الخصال.

ومن جانب آخر نجده لا يغفل عن الجانب الجمالي للنص، فيستعين مع تنويع الألفاظ ووفرتها باستخدام أساليب بلاغية و لغوية بارزة مثل الاستعارات والتشبيهات والألفاظ المترادفة والمتضادة، وغيرها.

استطاع الشاعر من خلال التنويع في الألفاظ والأساليب أن يجمع في قصيدته اليتيمة هذه بين: حنين زهير بن أبي سلمى وامرئ القيس في الوقوف على الأطلال، ومشاعر بن أبي ربيعة في الغزل والنسيب، ورجاء ابن الفارض في الوجد والوصال، وعزة عنترة، وأبي تمام في الفخر والشهامة.

ثبت المصادر

- ابن كثير، البداية والنّهاية ، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التّركي، دار هجر، القاهرة ، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكّار، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- ابن أيدمر، الدّرّ الفريد ، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، (د.ط)، (د.ت).
- ابن جني، الفسّر، شرح ابن جنّي الكبير على ديوان المتنبي، تحقيق، رضا رجب، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م:١/١٠١،، ونحوه لدى الواحدي، ديوان أبي الطيّب المتنبيّ وشرحه، تحقيق: العلامة فريدريخ ديتريصي، برلين، ١٨٦١م: ١٩٧/١،والعكبري، شرح ديوان المتنبي، تحقيق: مصطفى السّقا ورفاقه، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م
- ابن خيمر الإشبيلي، فهرسة ابن خيمر الاشبيلي، تحقيق بشار عوّاد ومحمود بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي تونس، ط،١، ٢٠٠٩م.
- ابن عبد البرّ القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق ، محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د.ت).
- ابن وكيع التنيسي، المنصف للسّارق والمسروق منه، تحقيق : عمر خليفة بن إدريس.٦ جامعة قاريونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٤م.
- أبو العبّاس القلقشندي، كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣هـ/١٩١٣م.
- أبو حيّان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق، عبد الله المحسن التّركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- أبو عبيد البكري الأونبى، سمط الآلي في شرح أمالي القالي.تحقيق، عبد العزيز الميمني– حالة الفهرسة: غير مفهرس.
- أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه: مكان النشر: مصر : الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، تاريخ النشرم.١٩٥٥
- أبو العبّاس الأزدي المهلّبي، كتاب المآخذ على شرّاح ديوان أبي الطيب المتنبيّ، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الرّياض، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،ط،١٢٣٠هـ.

- أسامة بن منقذ، المنازل والدّيار، تحقيق مصطفى حجازي، دار سعاد الصبّاح، الكويت والقاهرة ،ط١، (د.ت).
- الأموي الاشبيلي ، فهرسة ابن خير الاشبيلي، المحقق: إبراهيم الأبياري · حالة الفهرسة : غير مفهرس · سنة النشر: ١٤١٠ – ١٩٨٩م.
- الثعالبي الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت، جمعها أبو نصري المقدسي ، تحقيق ناصر محمدي محمد جاد ، مراجعة حسين نصّار ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
- الحسن بن مسعود اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- دوقلة المنبجي، القصيدة اليتيمة برواية القاضي علي بن المحسن التنوخي، قسم: الروايات والقصص الأدبية [تعديل] ؛ اللغة: العربية ؛ الناشر: دار الكتاب الجديد، (د.ت).
- عبد العزيز الميمني، بحوث وتحقيقات.، المحقق: محمد عزير شمس – محمد اليعلاوي · حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة · سنة النشر: ١٩٩٥م.
- العبدلكاني الزّوزنيّ ، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق محمد بهي الله بن محمد سالم ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب العربي ، بيروت ط١، ١٩٩٩م.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،العمدة في محاسن الشعر وآدابه، (د.ط)، (د.ت).
- عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي ، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق، د– سهيل زكارا، (د.ط)، (د.ت).
- القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ، (د.ت).
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، اللغة: العربية ؛ الناشر: مطبعة الجوانب قسطنطينية ؛ تاريخ الإصدار: ٠١ يناير ١٩٠٠م.
- محمد بن أيدمر المستعصبي، الدذرّ الفريد وبيت القصيد، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، (د.ط)، (د.ت).
- نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري ومطهّر الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م.

❖ نظرية البيان العربي خصائص النشأة ومعطيات النزوع التعليمي – تنظير وتطبيق – د.رحمن غركان، دار الرائي ، دمشق، ط١، ٢٠٠٨م.
❖ ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.